

THE LANGUAGE OF DHAD AND THE ARROWS OF LINGUISTIC GLOBALIZATION- CHALLENGES AND PROSPECTS –

Benmadah CHOUMISSA¹

Dr, Tlemcen university, Algeria

Chafa Belaid NACERA²

Prof. Dr, Tlemcen university, Algeria

Abstract

This research paper is a modest touching on a topic that comes down in the context of a scientific activity that aims to clarify the position of the Arabic language among the languages of the world, and to investigate the challenges that it faces in the light of linguistic globalization, and to search for the antidote to eliminate this deadly linguistic poison that has spread in the Arabic language as a result of globalization

Accordingly, language is a basic element in the knowledge society, as the self, identity, and tool for making society. The culture of every nation is latent in its language. It spreads with the strength of its people, and recedes with their weakness, as it is the cultural arsenal that builds the nation and protects its entity.

Accordingly, who did not possess his language did not possess the reasons for progress in a time when he who did not advance was late, and therefore the great powers compete in order to enable their languages in their countries, and spread them in the world, harnessing all their political, material, human and technical power to achieve this goal, taking as a slogan in that “If you teach your people their language, you possess them.”

It has been proven realistically, that the Arabic language lives today in the midst of the jungles of linguistic globalization and is waging a war of legitimate survival despite the challenges it faces, meaning that it has become fraught with foreign languages, as it has come to look at the English language with a superior look, while looking at the language of the Dhad with an inferior look, which is dangerous.

Based on this, the problem we seek to address is:

- What are the ways to improve the language of Dhad, and to advance it in the light of linguistic globalization?

 <http://dx.doi.org/10.47832/2717-8293.22.15>

¹  benmeddahchoumaissa67@gmail.com

²  belaidchafa@yahoo.fr

- Is the Arabic language able to keep pace with the developments of the times and withstand the hurricanes of globalization?

To decipher this code, we relied on a plan that included an introduction and a conclusion, with three axes in the middle:

- The website of the language of Al-Dhad globally.

Linguistic globalization and its impact on the Arabic language.

- Ways to advance the Arabic language to face linguistic globalization..

Key words: The Language of Dhad (Arabic), Linguistic Globalization, Impact, Challenges, Prospects.

لغة الضاد وسهام العولمة اللغوية- تحديات وآفاق-

شميسة بن مداح

د، جامعة تلمسان، الجزائر

نصيرة شافع بلعيد

أ. د، جامعة تلمسان، الجزائر

الملخص

هذه الورقة البحثية هي ملامسة متواضعة لموضوع يتنزل في سياق نشاط علمي يروم استجلاء مكانة لغة الضاد بين لغات العالم، وتقصي التحديات التي تواجهها في ظلّ العولمة اللغوية، والبحث عن الترياق للقضاء على هذا السّم اللغوي المميت الذي استشرى في اللسان العربي جزاء العولمة

وتبعًا لذلك، فإنّ اللغة هي عنصر أساس في مجتمع المعرفة، بوصفها الذات والهوية والأداة لصنع المجتمع، فثقافة كلّ أمة كامنة في لغتها، تنتشر بقوة أهلها، وتنحسر بضعفهم، فهي الترسانة الثقافية التي تبني الأمة، وتحمي كيانها.

وعليه، فإنّه من لم يمتلك لغته لم يملك أسباب التقدم في زمن من لم يتقدم فيه تأخر، ولذلك تتنافس الدول العظمى بغية تمكين لغاتها في بلدانها، ونشرها في العالم مسخرة كلّ ما أوتيت من قوة سياسية ومادية وبشرية وتقنية لتحقيق هذا الهدف، متخذة في ذلك شعارا «إذا علّمت شعبك لغته، فقد ملكته».

وقد ثبت واقعيًا، بأنّ اللّغة العربية تعيش اليوم في خضم متلاطم من أحرش العولمة اللغوية وتخوض حرب البقاء المشروع على الرغم مما تواجه من صور التّحدي أي أنها باتت مشحونة باللغات الأجنبية، إذ أصبح ينظر إلى اللغة الإنجليزية بنظرة فوقية في حين ينظر إلى لغة الضاد بنظرة دونية، وهو أمر خطير.

واستنادًا إلى ذلك، فإنّ الإشكالية التي نسعى أن نعالجها تتمثل في:

- ما سبل الارتقاء بلغة الضاد، والنهوض بها في ظلّ العولمة اللغوية؟

- وهل اللّغة العربية قادرة على مواكبة مستجدات العصر والصمود أمام أعاصير العولمة؟

ولفك هذه الشفرة، ارتكزنا على خطة اشتملت مقدمة وخاتمة تتوسطهما ثلاثة محاور هي:

- موقع لغة الضاد عالميًا.

- العولمة اللغوية وتأثيرها في اللغة العربية.

- سبل النهوض باللغة العربية لمواجهة العولمة اللغوية.

الكلمات المفتاحية: لغة الضاد (العربية)، العولمة اللغوية، تأثير، تحديات، آفاق.

تعتبر اللغة مرتكزاً أساسياً من أساسيات التواصل بين ذوي البشر، واللغة العربية لم تكن بمنأى عن ذلك، فقد احتفظت برصيداها التاريخي، وتواصلت في كلّ العصور، وقد ارتضاها الباري لتكون وعاءً لكتابه العزيز وفضّلها على غيرها من اللغات، ووهبها السيادة والزيادة ليأوي إليها الناس في مشارق الأرض ومغاربها، وليتعلّموها، وليتقنوا بها تلاوة القرآن الكريم، فإذا بها تجذب لباحاتها الشاسعة المسلمين وغير المسلمين، وتحظى بالعناية والرعاية من شعوب العالم كلّ.

هذه اللغة الرقيقة الدقيقة، الفيّاضة الفضفاضة التي أمتعت أسماعنا وسحرت عقولنا وأسعدت قلوبنا، اتحدت لأجلها الأقلام وشفاه عربية وأعجمية، فظهرت بأبهى حُلّة وأزهاها بين لغات العالم.

وتأسيساً على ما سبق ذكره، فإنّ اللغة العربية هي لغة تطبيع وتطويع، وهي قادرة على استيعاب العلوم بألغاز عربية بعد تطعيم اللفظ الأجنبي بجينات ألسنية عربية، ثمّ يتمّ التوصل إليها بأسلوب علمي قائم على القياس، وتبعاً لذلك، فإنّ اللغة العربية هي حاضنة تجارب الأمة الثقافية والحضارية والمدنية، بل هي ذاكرة الأمة وخزان تراثها ومفاهيمها وقيمها، وهي وسيلة مهمّة في تطوّر الأمة، وتحديد كيانها المعاصر من خلال استفادتها من تجارب الأمم الأخرى، وإقامتها جسور التواصل مع الحضارات من دون التفريط بشخصيتها المميّزة.

ولا مناص من القول، إنّ لغة الضاد قد سلكت نهج الأخذ والعطاء، شأنها في ذلك شأن اللغات الحية القوية التي تمتلك قابلية البقاء ومن ثمّ استطاعت أن تحمل الوعاء الحضاري باعتبارها أغنى لغات العالم، وأكثرها اتّساعاً، إذ هي لغة جامعة مانعة غنية عمّا عداها، فلها من أصولها وقواعدها ومعجمها ما يتيح لها أن تكون أداة للتواصل بين الناس من دون أن تفتقر إلى أصل أو قاعدة من لغة أخرى.

ولعلّ الخصائص التي تفرّدت بها اللغة العربية عن غيرها من اللغات جعلتها هدفاً لسهام أعدائها، فدبّرت لها المكائد داخل أوطانها وخارجها. وإذا ما رصدنا واقع اللغة العربية، يتضح أنها لم تعرف عبر تاريخها الطويل، ما تعرفه في هذا الزمن المتسارع العجول، الذي تحولت فيه الكرة الأرضية كلها إلى قرية عالمية، تهيمن عليها العولمة القائمة على العقل الإلكتروني والثورة المعلوماتية، هذا النظام العالمي الذي اخترق تفكير الإنسان، فخلق حالة من الاحتكار الأحادي في سوق اللغة، وذلك من خلال بسط نفوذ لغة كونية واحدة مهيمنة سيطرت على فكر الشعوب المستضعفة، وأثرت في صنع حضارتها بحكم الفعل السياسي والثقلي العالمي.

1- موقع لغة الضاد عالمياً:

ما لا يختلف فيه اثنان أنّ اللغة تتكوّن نتيجة لوجود رغبة الإنسان كمخلوق اجتماعي في قضاء حاجاته للاتصال، فالتخاطب لا يتمّ إلاّ عن طريق اللغة لأنّها هي الوسيلة الرئيسية في ذلك، وهي كأداة اتصال في نقل المعنى والثقافة تعدّ على الأرجح أكثر الوسائل أهمية، ولا تنعكس الحضارة في شيء مثلما تنعكس في اللغة، فهي وسيلة اتصال بين شعب وشعب، وإنّ اختلفت رموزها من هذا إلى ذاك.

وفي ضوء هذه الحقيقة الاتصالية، فإنّ اللغة حاجة إنسانية، تُحوّل الأفراد من جماعة بشرية إلى مجموعة ثقافية مترابطة لكونها وعاء الفكر وأداة التواصل، وعنواناً تعبيرياً عن شخصية الأمة، فهي تُثبت بوجودها، وتفتقر بافتقارها. وعليه، فإنّ اللغة العربية لم تقتصر على كونها وسيلة تعبير فقط، وإنّما تتميز بأنّها ذات مضامين علمية ومنهجية وموضوعية وحضارية. لذلك، فقد ملكت زمام الترتيع على عرش العلوم والحياة جميعها.

ولعلّ الذي جعل اللّغة العربيّة هدفاً لسيّهام أعدائها هو امتيازها عن غيرها من اللّغات بخصائص تفرّدت بها، وقد أكّد اللّغويون العرب وغير العرب على عبقريتها، وأهميتها، فاعترفوا بقدرتها على مواكبة التقنيات الحديثة وسائر العلوم، والمعارف العالمية، وأثر انتشارها في بناء الحضارة الإنسانيّة، وفي ذلك يقول "رينان": «إنّ انتشار اللّغة العربيّة يعتبر من أغرب ما وقع في تاريخ البشر، كما يعتبر من أصعب الأمور التي استعصى حلّها، فقد كانت هذه اللّغة غير معروفة في البدء، فبدأت فجأة على غاية الكمال سلّسة غاية السلاسة، غنية أيّ غنى، وإنّ العربيّة، ولا جدال، قد عمّت أجزاء كبرى من العالم». (زيناتي، 2006، صفحة 126)

واستناداً إلى ذلك، فإنّ العربيّة بخصائصها قادرة على أن تستوعب حركة العالم بكلّ تطوّراته، ومتغيّراته، ومرونتها قادرة على الاتّساع لكلّ جديد، فهي لغة ضاربة الجذور في التاريخ تتسم بسّمات نادرة ما توجد في اللّغات الأخرى، وهذا هو سرّ عبقريتها الذي يتجلّى في ميزات المتفرّدة بها والتي نذكر منها:

- ارتباط اللّغة العربيّة بالقرآن الكريم، جعلها مقدّسة ربّانية، وساعد على حفظها من التشرذم والتفكك، فضمن لها الخلود والبقاء، لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: 9]، وقلّ ما نجد لغة يتّحد فيها ماضيها البعيد لفظاً ودلالةً بحاضرها القريب كما هو الحال في العربيّة التي هي عند العرب معجزة الله الكبرى في كتابه المجيد، وفي ذلك يقول "الثعالبي": «إنّ العربيّة نزل بها أفضل الكتب على أفضل العرب، واعتقد أنّ العربيّة خير اللّغات». (الثعالبي، 1938، صفحة 192)

والذي نريد التأكيد عليه، أنّ للّغة العربيّة عند أهلها وزناً ليس كمثله وزن عند بقية الأمم، فبُعدها الروحي أسبغ عليها هالة من القداسة، كيف لا، وهي لغة القرآن الكريم الكتاب المقدس، الحامل لرسالة الخالق إلى من استخلف من مخلوقاته، فطابعتها القدسي، ورمزيتها الإسلاميّة فضّلها على سائر اللّغات، إذ يقول "أبو السعود": «فالقرآن نزل على قوم محمد ﷺ أشرف الأقسام وبأفضل اللّغات». (العمادي، د.ت، صفحة 32)

- وفي مجال الأصوات، إنّها أوسع اللّغات الإنسانيّة مخارجاً، فمدّرجها الصوتي يمتدّ من الشفتين إلى الحنجرة، بينما ينحصر المدرج الصوتي في معظم اللّغات في مساحة أقلّ، وأمّا علاقة الأصوات العربيّة بمعانيها، فتعود إلى محاكاة الأصوات الطبيعيّة وإلى قواعد صرفية واشتقاقية، فهي لغة تستنفذ حروفها من خلال وفائها بالمخارج الصوتية على تقسيماتها الموسيقية، فليس هناك مخرج صوتي واحد ينقص اللّغة العربيّة، وإنّما ترتكز على تقسيم الحروف حسب موقعها من أجهزة النطق ولا تحتاج إلى تقسيمها، باختلاف الضغط على المخرج الواحد، كما يحدث مع الإنجليزيّة في تمييز حرف الباء الخفيفة والباء الثقيلة بثلاث نقاط، وقد تحدّث "العقاد" عن هذه الخاصيّة قائلاً: «إذا قيس اللسان العربي بمقاييس علم الألسنة، فليس في اللّغات أوفى منه بشروط اللغة في ألفاظها بشروط اللّغة في ألفاظها وقواعدها». (الحاج، 1990، صفحة 270)

- اتساع مفرداتها وكثرة ترادفها، وهذا الاتساع جعلها تتفوّق على أخواتها الساميات جميعاً. وفي هذا السياق، يقول "ابن الأثير": «إنّ للّغة العربيّة مزّة على غيرها لما فيها من التوسّعات التي لا توجد في لغات أخرى» (ابن الأثير، د.ت، صفحة 39). واعترف بعض المستشرقين بهذه الخصيصة إذ يقول "رينان": «من أغرب المدهشات أن تثبت تلك اللّغة، وتصل إلى درجة الكمال وسط الصّحاري عند أمة من الرّحل، تلك اللّغة فاقت أخواتها بكثرة مفرداتها ودقّة معانيها، وحُسن نظام مبانيها». (كعروف، 1407هـ، صفحة 40)

ولربما يندر وجود مثل هذه الظاهرة في لغة من لغات العالم، فمثلاً قليلاً ما نجد للأسد في اللغة غير العربية خمسمائة اسم، ولل سيف ألف اسم، ولل عسل ثمانين اسماً، ولل داهية أربعمائة اسم وهكذا، كما يساعد نظام الاشتقاق في استخراج عدد كبير من المفردات للمادة الواحدة، فمثلاً يمكننا اشتقاق أكثر من سبعين كلمة من الجذر الواحد. (موسى و آخرون، 2009، صفحة 162)

- قواعد النحو وظاهرة الإعراب: فقد بلغت دقة قواعد النحو العربي مبلغاً لا مثيل له في اللغات السامية أو اللغات الأخرى، وتمثل ظاهرة الإعراب في أصوات من قصيرة (الحركات) تلحق أواخر أغلب الكلمات لتدل على وظيفة الكلمة في الجملة وعلاقتها بعناصرها الأخرى. فقد شحنت ظاهرة الإعراب اللغة العربية بطاقات إبداعية جميلة جداً، وتمكّن المبدعون من توظيفها في كلامه البلاغي بصورة لافتة للأنظار ومثيرة للاهتمام، وفي ذلك يقول "فتحي جمعة": «الإعراب الذي احتفظت به العربية وحدها دون سائر اللغات بكلّ مظاهره حتى اليوم، والذين يعرفون العربية ويحسنون ذوقها، هم الذين يعلمون علم اليقين أنّ ظاهرة الإعراب تمنح المتكلم بهذه اللغة طاقة هائلة على تنويع كلامه، وتصريف جهاته، لأنّ حركات توازره وتُعينه، فهو يقدم ويؤخر دون خوف. مثلاً على ذلك الآية الكريمة في سورة فاطر: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾». (جمعة، 2000، صفحة 143)

وعليه، فظاهرة الإعراب هي صفة أصيلة في اللغة العربية لا نجدها في الكلام الأجنبي، فالإنجليزية مثلاً لا تعرف الإعراب ولا الحركات في الأسماء والأفعال، وهذا الاحتفاظ بظاهرة الإعراب دفع ببعض مؤرخي اللغات إلى الاعتقاد أنّ العربية هي أصل الجزريات. (الصالح، 1986، صفحة 122)

- البلاغة والبيان: يكثر في اللغة العربية استعمال الألفاظ والتراكيب في غير معناها الأصلي لأغراض بلاغية، كخدمة المعنى توضيحاً أو مبالغةً في إبانته أو إخراجها في أقلّ قدر من اللفظ، أو بغية عرضه عرضاً جميلاً جذاباً، وقد ضرب القرآن بسهم واسع في هذا المجال، فالصور البيانية أكسبت اللغة العربية حلاوة وطلاوة، وزادتها بلاغة وسلاسة، وكان للمجاز أثر عظيم في اتساع العربية للعلوم والفنون وللحضارة والمدنية، وفي ذلك يقول الرسول ﷺ: {إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا وَإِنَّ مِنَ الشُّعْرِ لِحِكْمَةً}. (ابن أنس، صفحة 610؛ البخاري، صفحة 29؛ مسلم، صفحة 594)

- الإيجاز: وهو مظهر ملموس في اللغة العربية ويتضح -بخاصة- في أصوات العلل، ففي اللغات الأجنبية تأخذ العلة حجم الحرف، بينما في اللغة العربية لا تستخدم إلا عند الضرورة، وفوق الحرف أو تحته، ويعتبر الإدغام إيجازاً لأنه يحلّ فيه حرف مكان حرفين، وكذلك الإضافة، وقد تتكوّن الجملة من حرف واحد كقولنا: ق؛ وهي جملة أمرية من الفعل (وقى)، وفي هذا الصدد يقول "يعقوب بكر": «إذا ترجمنا إلى العربية كلاماً مكتوباً بإحدى اللغات الأوروبية كانت الترجمة العربية أقلّ من الأصل بنحو الخمس أو أكثر». (بكر، 1966، صفحة 12)

- إنّها اللغة التي اجتمعت فيها ستة أحرف لم تجتمع في أية لغة أخرى من لغات العالم (ث، خ، ذ، ض، ظ، غ)، وبذلك أصبحت تُكثى بلغة الضاد.

- اللغة العربية هي اللغة الوحيدة التي تخرج من الجزء الأيمن وباقي اللغات تخرج من الجانب الأيسر، وكأنّها الأمّ التي أخرجت من رحمها كلّ اللغات.

- اكتشف علماء اللغة أنّه إذا وُجد حرفا (ق) و(ج) متجاورين، فهذا دليل على اندثار هذه اللغة سريعاً، والعجيب أنّ اللغة العربية لا يوجد بها كلمة واحدة يتجاوز فيها هذا الحرفان.

- الدّخيل والمعزّب: اتساع العربيّة لعدد كبير من الألفاظ الدّخيلة والمعزّبة، وقد وُجد هذا في القرآن الكريم والشعر الجاهلي، وأصبح سنة لا تختلف في حياة العربيّة لمرونتها وشساعتها عندما تحتك بغيرها من اللّغات، حيث يقول أحد أساتذة الأزهر "عبد الرحيم السائح": «إنّ اللّغة العربيّة استطاعت في رحاب عالمية الإسلام أن تتسع لتتهدّج بأبعد انطلاقات الفكر، وقد زادت مرونتها القدرة على التّفوّق». (العلمي، 2001، صفحة 15)

وهذه الخصائص هي غيظ من فيض ميّزت اللّغة العربيّة عن باقي اللّغات، فأكسبتها الخلود والرونق والجمال والكمال، وفي ذلك يصرّح "رينان": «ولم يُعرف لها في كلّ أطوار حياتها طفولة ولا شيخوخة، ولا نكاد نعلم من شأنها إلّا فتوحاتها، وانتصاراتها التي لا تبارى، ولا نعرف شبيها بهذه اللّغة التي ظهرت للباحثين كاملة من غير تدرّج، وبقيت حافظة لكيانها من كلّ شائبة». (كعروف، 1407هـ، صفحة 40)

ولعلنا لا نشتم في القول بأنّ هذه الميزات التي تفردت بها اللّغة العربيّة أهلتها أن تمتلك زمام التّربيع على عرش العلوم والحياة، وجعلتها تواكب التقنيات الحديثة والمعارف العالمية.

2- العولمة اللّغوية وتأثيرها في اللّغة العربيّة:

إنّ الحديث عن العولمة اللّغوية يتطلب تحديد مفهوم العولمة لغّةً واصطلاحًا.

أ- تعريف العولمة لغّةً:

العولمة في اللّغة مأخوذة من العالم، والعالم تعني الخلق، والجمع العوالم بكسر اللام، والعالمون أصناف الخلق. ووردت كلمة "عولمة" على وزن فَوْعَلَةٍ التي تعني تحويل الشيء إلى وضعية أخرى غير الوضعية التي كانت عليها. (الرازي، 1995، صفحة 189)

وجاء في المعجم العالمي الجديد "ويبستر" (Wibster) أنّ العولمة (Globization) هي اكتساب الشيء طابع العالم، أي جعل نطاق الشيء وتطبيقه عالميًا. (الرقب، د.ت، صفحة 6)

وجاء في المعجم الوسيط بأنّ «كلمة "عولمة" مصدر وعولم الشيء، معناه: أعطاه طابعاً عالمياً». (المعجم الوسيط، 2004)

ويرى "أحمد صدقي الدجاني" أنّ العولمة مشتقة من الفعل عَوَّلَمَ على صيغة فَوْعَلَةٍ، وقد أجاز مجمع اللغة العربيّة بالقاهرة استعمال العولمة بمعنى جعل الشيء عالمياً. (الرقب، د.ت، صفحة 6)

ويقول "عبد الصبور شاهين" في تعريف العولمة: «فأما العولمة مصدرًا، فقد جاءت توليدًا من كلمة عالم، ونفترض لها فعلاً هو عَوَّلَمَ يُعَوِّلِمُ عَوَّلَمَةً بطريقة التوليد القياسي، أما صيغة الفَعْلَلَة التي تأتي منها العولمة، فإنّما تستعمل للتعبير عن مفهوم الأحداث وهي مماثلة في هذه الوظيفة لصيغة التفعيل». (شاهين، د.ت، صفحة 48)

ب- اصطلاحًا:

أما في الاصطلاح، فهي الترجمة العربيّة للكلمة الإنجليزيّة (Globization) المشتقة من كلمة (Globe) حيث يُترجمها البعض بـ"الكونية" والبعض بـ"الكوكبية". وأمّا في العصر الحديث فقد اشتهر مختلف الباحثين مصطلح العولمة، حيث أصبح هذا المصطلح من أكثر الترجمات ذيوغًا وشيوغًا بين دوائر سياسية واقتصادية وإعلامية. (العبد، 2006، صفحة 85)

ويعتبر مصطلح العولمة من المصطلحات الحديثة التي تناولها الباحثون والمفكرون بالبحث والدراسة نظراً لاتساع رقعتها، وتغلغلها في جميع النواحي والأصعدة، إذ لا يوجد تعريف شامل دقيق لهذا المصطلح، وذلك لغموض مفهومه، وتباين الآراء وتشعب الدراسات، حيث تم استخدام مصطلح العولمة لأول مرة عن 1960 من قبل الكاتب "ماكوهان" في مؤلفه "الحرب والسلام في القرية العالمية" حينما تحدث عن تأثير التلفزيون في سير الحرب في فيتنام، وفي ذلك يقول "صادق جلال العظم: «هي حقبة التحول الرأسمالي العميق للإنسانية جمعاء في ظل سيادة نظام عالمي للتبادل غير المتكافئ»». (العظم، 1997، صفحة 34)

ويعرفها "رولاند بارسون" (Roland Parson) قائلاً: «العولمة هي اتجاه تاريخي نحو انكماش العالم وزيادة وعي الأفراد والمجتمعات بهذا الانكماش». (تومي، 2009، صفحة 26)

أما الدكتور "علي أسعد وطفة" فيعرف العولمة بقوله: «العولمة كلمة حديثة في اللغة العربية وتعود في أصلها إلى كلمة عالم وتعني تعميم الشيء ليصبح عالمياً، أو نقله من حيز الخصوصية إلى مجال العمومية في مستواه الكوني». (وطفة و عبد الغفور، 2002، صفحة 101)

وفي تحديد مفهوم المصطلح ذاته، يقول الدكتور "حسين نصار": «العولمة هي إزالة الفواصل بين أقطار العالم لتصير الكرة الأرضية كلها قرية عالمية». (أبو الفتوح، 2018)

وهناك تعريفات كثيرة للعولمة ولكن الذي يُعنيننا هنا العولمة اللغوية من حيث تعلقها بالجانب اللغوي.

ج- مفهوم العولمة اللغوية:

هي نوع من أنواع العولمة، وهي هيمنة لغة قوية اقتصادياً وإنتاجياً ومعرفياً على اللغات الضعيفة ومنها اللغة العربية، وهي تأخذ كذلك مصطلح اللغة العالمية أو اللغة الكونية، وفي هذا المفهوم تندرج العولمة الثقافية التي تعني الغزو الثقافي في بعده العام.

وقد اختلف الكثير من الباحثين في تعريف العولمة اللغوية، وتحديدها بدقة وإتقان لكي يتسنى لهم فهم العولمة اللغوية. حيث يرى البعض أنها تغليب أو مشاركة استخدام لغة ما خارج نطاقها الجغرافي في كثير من مناحي الحياة على اللغة الأم لأمة من الأمم الأخرى والتي كان يعبر بها عنها في شتى مجالات حياتهم المعيشية والفكرية والثقافية والدينية والاقتصادية.

وعليه يتضح لنا أن العولمة اللغوية هي نوع من أنواع السيطرة على الآخر في الجانب اللغوي، وهو أمر خطير، أي السيطرة على الجانب المعرفي، الثقافي، السلوكي، الأخلاقي وممكن أن يتمادى إلى الجانب الديني.

ونصل إلى أن العولمة اللغوية مسألة ذات حدين، غاية في التعقيد وغاية في اليسر في آن واحد. وذلك لأن اللغة أداة لإنتاج المعرفة، والمعرفة ليست حكراً على شخص معين، ولا عن شعب عما سواه أو أمة دون أمة أخرى، أي خير مقتصرة على لغة معينة، بل بكون التعارف والتألف خير من أجل تبادل المعرفة التي تتوزع على لغات العالم.

ولهذا يجب الابتعاد عن التعصب اللغوي المرفوض، بل يجب الاعتزاز باللغة الأم والتي هي ذاكرة الشعب التي يخترن فيها التراث، والتاريخ، والمعارف، وغير ذلك والحق يقال أضحى من الضروري معرفة لغة الآخر في الوقت الحالي من أجل التطور العلمي والتكنولوجي.

لما كانت العولمة ذات أبعاد متعددة، وكان البعد الثقافي واحدا منها، وكانت اللغة محور البعد الثقافي والمعبر عنه في جانبه المادي والمعنوي، كانت الأمم والشعوب قد أدركت من قبل في عصور التاريخ ضرورة الوحدة اللغوية بين الناس فكان أن نشأت في كل عصر تاريخي لغة مشتركة اصطنتها عدة شعوب حيناً من الدهر ثم بادت أو اندثرت.

ومن سمات اللغة العالمية أيضا انتشارها على مستوى جميع قارات العالم، كما هي عليه حال اللغة الإنجليزية، إذ تحتل المرتبة الأولى بين لغات العالم (الحداد، د.ت). ولما كانت العولمة ذات أبعاد متعددة، وكان البعد الثقافي واحدا منها، وكانت اللغة محور البعد الثقافي والمعبر عنه في جانبه المادي والمعنوي، كانت الأمم والشعوب قد أدركت من قبل في عصور التاريخ ضرورة الوحدة اللغوية بين الناس، فكان أن نشأت في كل عصر تاريخي لغة مشتركة اصطنتها عدة شعوب حيناً من الدهر ثم بادت أو اندثرت، فاللغة الأكادية أو لغة بابل وآشور التي سادت في حوض دجلة والفرات قد انتظمت العالم القديم مدة من الزمن، ثم جاءت بعدها الآرامية والإغريقية واللاتينية ثم العربية، وأخيراً في العصور الحديثة الفرنسية والإنجليزية. وكل لغة من هذه اللغات حاولت ما وسعتها المحاولة أن يمن وتصبح لغة الناس كافة.

بيد أن اللغات تتصارع وتتغالب كما تتصارع الشعوب، فيغلب القوي منها الضعيف، وها هي ذي كثير من لغات إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية قد تعرضت للاجتياح أمام قوة اللغات الأوربية الغازية في عصر التوسع الاستعماري، بعد الثورة الصناعية ممثلة في اللغات الفرنسية والإنجليزية والإسبانية والبرتغالية والألمانية بصورة عامة، وفي اللغتين الإنجليزية والفرنسية بصورة خاصة. وأمام هذا الاجتياح سقطت لغات كثيرة قدراً المنظمة الدولية للتربية والعلوم والثقافة «اليونسكو» بأكثر من 300 لغة، وضعفت أخرى، وتصعدت أركان، وتتوقع لها مزيداً من الضعف الذي قد يؤدي إلى السقوط، إذا ساعد أبناء هذه اللغات أنفسهم على تحقيق الهدف، وقد وضعت اللغة العربية في مصاف هذه الطائفة الأخيرة، بعد أن قدر لها مدى زمني يتوقع أن يتحقق من خلاله الهدف، أي في حال مساعدة أبناء اللغة أنفسهم على تحقيقه وفي عالمنا المعاصر ثمة لغات عالمية تتبوأ مكانة على الصعيد العالمي مثل الإنجليزية والفرنسية والإسبانية واليابانية والصينية والألمانية. ومن سمات اللغة العالمية أن تؤدي وظائف رسمية في عدد من الدول فتعتمدها في شؤون حياتها، كالإبانية التي لا تؤدي وظيفتها إلا داخل الوطن الأم (اليابان)، والألمانية في قارة واحدة (أوروبا)، والصينية في قارة واحدة (آسيا).

ومن سمات اللغة العالمية أيضا انتشارها على مستوى جميع قارات العالم، كما هي عليه حال اللغة الإنجليزية، إذ تحتل المرتبة الأولى بين لغات العالم من حيث انتشارها، فهي اللغة الوحيدة بين جميع اللغات العالمية التي تستخدم لغة رسمية في قارات العالم كافة، حيث بلغ عدد الدول التي تستخدم اللغة الإنجليزية لغة رسمية تسعا وخمسين دولة، وهو أكثر من ضعف عدد الدول التي تستخدم اللغة العالمية الثانية وهي الفرنسية، إذ يبلغ عددها 28 ثمانيًا وعشرين دولة. وتسود الإنجليزية لغة اتصالات دولية في مجال الشبكة «الإنترنت»، إذ إن 80٪ من صفحات المواقع المتوفرة على «الويب» بالإنجليزية، كما تسود في مجالات الإدارة والتسويق، في الوقت الذي تحتل فيه اللغات العالمية الأخرى مراتب تالية للغة الإنجليزية وبفارق كبير، وتسود أيضا في لغة الدبلوماسية الحديثة وفي داخل المنظمات الدولية... الخ. (الحداد، د.ت)

ومن الملاحظ أن اللغة الإنجليزية تمن على مفردات اللغات الأصغر والأكبر في الوقت نفسه، وها هي ذي الأمر تؤثر في أسلوب الحياة، وذلك في أي محيط ثقافي، وهذا ما دعا بعض الدول الكبرى إلى الإحساس بخطر هيمنة اللغة الإنجليزية وتأثير هذه الهيمنة في لغتها الأم.

وفي العقد الأخير تضاعف انتشار اللغة الإنجليزية على الصعيد العالمي مع الهيمنة الاقتصادية والإعلامية الأمريكية، وبسبب تزايد استخدام الشبكة "الإنترنت"، وأدى ذلك إلى اتساع نطاق استخدام كلمات وعبارات إنجليزية تعبر عن الثقافة الأمريكية والقيم الاستهلاكية التي قد لا تتناسب هي وقيم بعض الأمم التي تعد نفسها عريقة مثل الألمان والصينيين والفرنسيين. (هارمان، 2006، صفحة 168)

وفي الصين ثمة قلق من انتشار اللغة الإنجليزية في بلادهم من خلال الأفلام الأمريكية، التي يحرص الشباب على متابعتها، وهذا ما دفع الحكومة الصينية إلى إصدار أول قانون للغة بغية الوقوف أمام الخطر الذي يتهدد اللغة الصينية. ويلزم القانون الذي بدأ العمل به اعتباراً من مطلع شهر كانون الثاني (يناير) عام 2001 وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة بضرورة التزام الأسس المتعارفة باللغة الصينية المعتمدة على الكتابة المبسطة في الصين، بعيداً عن الكتابة المعقدة المتبعة في المستعمرة البريطانية السابقة "هونغ كونغ" وإذا كان هذا يحدث في دول متقدمة كفرنسا وألمانيا والصين فما حال العرب تجاه لغتهم العربية؟. (الحداد، د.ت)

3- سبل النهوض باللغة العربية لمواجهة العولمة اللغوية:

إنّ العولمة واقع لا يجدي معه أسلوب الرفض، بل هي تيار بدأ بالاقتصاد وامتد إلى السياسة والثقافة واللغة وأصبح واقعا نعيش فيه، ولا نرى أن تضيق الخناق على قنوات التواصل بين ثقافتنا وأي ثقافة أخرى وافدة سيكون حلاً ناجحاً، فلم يعد ثمة مجال للانعزال والتفوق، ولا يصح بالمقابل إطلاق العنان لكل ما هو وارد بعجزه وبجره بدعوى الانفتاح. وفي ضوء ذلك كان لابد من اتخاذ عدد من الإجراءات لمواجهة الآثار السلبية للعولمة، واختيار الجوانب المضيفة منها بما يلاءم مناخنا وأرضنا وتربتنا ويحافظ على هويتنا.

وإنّ مفتاح الانتصار للغة العربية في معركة العولمة ليس في تكرار القول بما تمتلكه العربية من كنوز وذخائر واستيعاب عملية الترجمة والتعريب، وأنها أيقونة اللغات لما تتفرد به من خصائص دينية ولسانية، بل هناك جملة من الظروف والعمليات التي من خلالها يمكننا النهوض بلغتنا بغية تحدي العولمة اللغوية الماحقة، وإنّ تحديات العولمة التي تواجهها العربية اليوم تضع كلّ عربي أصيل، بل كلّ ناطق بها إلى بيان صلته ببناء المشروع النهضوي في المستقبل، وإنّ المستقبل العربي مرتبط بأداة التغيير، والتغيير يبدأ من طريق تفعيل اللغة العربية لمواكبة مستجدات العصر والصمود أمام أعاصير العولمة، ومن هذه الطروحات:

1. حسم موضوع التعريب بإصدار القرار السياسي الملزم، ووضع سياسة لغوية وتخطيط لغوي في ضوءها على الصعيدين القومي والوطني.
2. تفعيل الترجمة إلى اللغة العربية في جميع ميادين المعرفة ولاسيما ميادين العلوم والتقانة (التكنولوجيا)، ذلك لأن الترجمة العلمية وتعريب التعليم يعدان من وسائل إغناء اللغة العلمية والتقنية للقوى العاملة، ولهذه اللغة الأم دور في تحسين مردود القوى العاملة، ويتنامى دورها مع التوجه نحو الاقتصاد المبني على المعرفة.

3. السعي إلى إحداث عولمة للغة العربية في أوساط المسلمين من غير العرب، إذ باستطاعة العرب تقديم مواد وبرامج علمية وفكرية وقرآنية وشرعية مكتوبة أو مسموعة، وكلها مصوغة بالعربية الفصيحة والسليمة، وآخذة بالحسبان العلاقة الوثيقة بين اللغة العربية والدين الإسلامي من جهة، ومن جهة أخرى يمكن أن يؤدي ذلك إلى تقليل شأن اللهجات المحلية لمصلحة الفصيحة.

4. إيلاء الإعلام الأهمية واعتماد الترجمة السليمة في القنوات الفضائية وفي الإعلام المقروء والمسموع والمرئي.

5. السعي الحثيث لإثراء المحتوى الرقمي العربي على الشبكة عن طريق الترجمة، وتخصيص الجوائز لأفضل المواقع التي تعتمد العربية الفصيحة.

6. السعي إلى إتقان اللغات الأجنبية إلى جانب إتقان اللغة الأم «العربية الفصيحة»، وهذا من شأنه إغناء عملية الترجمة. كما أثبتت اللغة العربية عن طريق مجامعها العربية في دمشق والقاهرة وبغداد وعمان والجزائر، أنها لغة معطاء، صدر عنها عدد كبير من معاجم المصطلحات العلمية في مختلف العلوم العصرية، وكذا إسهامات الكثير من أساتذة الجامعات العربية في هذا الجانب، حيث ألفوا كتباً كثيرة في التخصصات العلمية الحديثة، ولم يدعوا أن العربية عاجزة، بل أكدوا أنها لغة فاعلة لغة علم عالمية كسائر اللغات العالمية اليوم.

ومن هذا كله يتضح أن اللغة العربية كانت ولا تزال لغة حضارية وصالحة للبشرية، فقد فرضت وجودها، وأثبتت جدارتها وصلاحتها ومرونتها، فدرست بها العلوم المتعددة، ودخلت الإلكترونيات والحاسب، وحققت نجاحاً باهراً، وترجمت إليها الكتب العلمية قديماً وحديثاً، ولا تدخر المجامع اللغوية جهداً من صوغ الآلاف المؤلفات من المصطلحات وأسماء المخترعات وألفاظ الحضارة، ولا شك في تعلمنا للغات الأخرى ثراء علمي وانفتاح على الحضارات.

ولعلنا لا نجانب الصواب إذا قلنا بأن الحضارة لا تأتي إلا عن طريق اللغة، بل هي اللغة، وعن طريق اللغة يكون التفكير والتفاهم والتفاعل بين العقول والأفكار، فاللغة العربية هي أكبر رصيد حضاري الذي لا حدود له. وفي هذا السياق يقول "أرييري": «إن اللغة العربية لغة حيّة وحضارة العرب هي حضارة مستمرة، فهي حضارة الأمس واليوم والغد». (الشافعي، د.ت، صفحة 162)

وعموماً، فإن تمكين اللغة العربية مسؤولية إنسانية، ورفي حضاري، وعلى هذا الأساس تعتبر اللغة من أهم الأركان التي ترتكز عليها الحضارات، ومن أهم العوامل التي تساهم في تشكيل هوية الأمة، حيث يقول "عبد السلام المسدي": «... لا ثقافة بدون هوية حضارية، ولا هوية بدون إنتاج فكري، ولا فكر بدون مؤسسات علمية متينة، ولا علم بدون حرية معرفية، ولا تواصل، ولا تأثير بدون لغة قومية تضرب بجذورها في التاريخ، وتشارف بشموخ حاجرة العصر، وضرورات المستقبل». (المسدي، 2014، صفحة 349)

وهكذا، فقد كان للغة العربية، قوة التأثير فجذبت العقول، وسحرت القلوب، حتى صارت تحتل المكانة اللائقة بها كلغة متوجة للحضارة، وبذلك صارت اللغات الأخرى التي كانت تنافسها على الزيادة إما أن تتهلّهل وتتهاوى أمام قوة عبقرية اللغة العربية، وإما أن تغور وتموت أمام منجزات الحضارة التي أكسبتها قاعدة قوية جعلتها جسراً للتواصل الثقافي بين الحضارات.

خاتمة:

وصفوة القول، إنّ لغة الضاد لا تتعارض مطلقاً مع احترام اللغات الأخرى، وقد سلكت نهج الأخذ والعطاء، شأنها في ذلك شأن اللغات الحية القوية التي تمتلك قابلية البقاء.

وعليه، فإنّ اللّغة العربيّة بما تمتلك من مخزون معنوي، ووظيفة اجتماعية وتربوية، وتأثير نفسي، هي الرّكيزة الأساس في التعارف والتفاهم، والتواصل الإنساني بكلّ أجناسها وأساليبها، فهي وعاء الفكر ووسيلة التواصل مع الآخر، وتبادل المعلومات والأفكار، إذ هي كالعملة في التبادل التجاري، وكلّما كانت العملة قويّة وموحّدة في البلاد، يكون هذا التبادل أيسر وأكثر نشاطاً.

وعلى العموم، إنّ اللّغة العربيّة هي الأداة التي نقلت الثقافة العربيّة عبر القرون، وبواسطتها تواصلت الأجيال العربيّة، وهي الحاملة للإسلام، وما انبثق عنه من حضارات وثقافات، وبها توخّد العرب قديماً، وبها يتوحدون اليوم، ويؤلفون في هذا العالم رفعة من الأرض تتحدث بلسان واحد وتصوغ أفكارها وقوانينها وعواطفها في لغة واحدة على الرّغم من اختلاف الأقطار وتعدّد الدول.

وبناءً على ما سبق ذكره، فإنّ اللّغة العربيّة بلا منازع هي أداة الاتصال والتواصل، ونقطة الالتقاء بين العرب وشعوب كثيرة في هذه المعمورة، أخذت عن العرب جزءاً كبيراً من ثقافتهم، واشتركت معهم في الكثير من مفاهيمهم، وأفكارهم وعاداتهم وجعلت الكتاب العربي المبين ركناً أساساً من ثقافتها، وعنصراً جوهرياً في تربيته الفكرية والخلقية، فأصالة اللّغة العربيّة هي التي أهلتها لحمل رسالة الحضارة، والتنمية الثقافية.

إذن، فإنّ لغة الضاد هي الصلّة الحية بين حاضر الأمة وتراثها الغابر وماضيها المجيد.

ونخلص أخيراً إلى ما خلص إليه "عبد المالك مرتاض" في قوله: «وإنّها لِلْعَرَبِيَّةِ، رَبِّهَا لَغَةٌ ما أبدعها وأحلاها، وأوسعها وأعلاها، وأكملها وأرقاها، وأسهلها وأغناها.. فليس للعربية إلا أن تتفاخر بما حُبيبت به وتتباهى، وتزتند بين اللغات في المقامات، ولا تخشاها، فواها للعربية ثمّ واهّا!، فو حقّ دارة جُلجل، وما حواها، وعذارى دوارٍ وما جلاها، للعربية سيّدة اللّغات منزلة وجاهاً». (مرتاض، 2012، صفحة 5)

وهكذا، فحياة اللّغة العربيّة من حياة أهلها، وهي تقوى وتضعف حين يقوون أو يضعفون، وهي فاعل في الحضارة، وعامل مؤثّر في النهضة، فكّلما قامت حضارة، ونمّا فرعها، وأينعت شجرتها وأثمرت، ازدهرت اللّغة، واغتنت وامتدّ إشعاعها، وانتشر.

قائمة المصادر والمراجع:

الكتب:

- أبو منصور الثعالبي. (1938). *فقه اللغة وسرّ العربية*. (تحقيق: مصطفى السقا وآخرون) جامعة القاهرة: مطبعة الحلبي.
- إدريس العلمي. (2001). *في اللغة العربية*. الدار البيضاء: دار النجاح الجديدة.
- أنور زيناتي. (2006). *زيارة جديدة للاستشراق*. مصر: مكتبة الأنجلو المصرية.
- البخاري. صحيح (29/8)؛ مسلم. صحيح (594/2)؛ مالك ابن أنس. *الموطأ*. (ص610).
- مجمع اللغة العربية. (2004). *المعجم الوسيط*. القاهرة- مصر: مكتبة الشروق الدولية.
- صالح الرقب. (د.ت). *أتعرف على العولمة*. دار البحار للطباعة والنشر.
- صالح العبد. (2006). *العولمة والسيادة الوطنية*. دار الخلدونية.
- صبحي الصالح. (1986). *دراسات في فقه اللغة*. لبنان: دار العلم للملايين، مطبعة العلوم.
- ضياء الدين بن الأثير. (د.ت). *المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر*. (ج1). (قدمه وعلّق عليه: أحمد الحوفي وبدوي طبانة). القاهرة: دار النهضة مصر للطبع والنشر.
- عبد السلام المسدي. (2014). *الهوية العربية والأمن - دراسة وتوثيق* - (ط1). بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
- عبد القادر تومي. (2009). *العولمة من الاقتصاد إلى الإيديولوجية*. دار كنوز الحكمة.
- عبد الملك مرتاض. (2012). *نظرية اللغة العربية: تأسيسات جديدة لنظامها وأبنيتها*. الجزائر: دار البصائر للنشر والتوزيع.
- فتحي جمعة. (2000). *اللغة الباسلة*. مصر: دار النصر للتوزيع والنشر.
- محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي. (1995). *مختار الصحاح* (ج1). (تحقيق: محمود خاطر). مكتبة لبنان.
- محمد بن إدريس الشافعي. (د.ت). *الرسالة*. (تحقيق: أحمد محمد شاكر). دمشق: المشرق للكتاب.
- محمد بن محمد العمادي. (د.ت). *تفسير أبي السعود إرشاد العقل إلى مزايا القرآن الكريم* (ج5). بيروت: دار المصحف.
- محمد مصطفى الحاج. (1990). *عالمية اللغة العربية (من قضايا اللغة العربية المعاصرة)*. (د.ط). تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، إدارة الثقافة.
- نائف كعروف. (1407هـ). *خصائص العربية وطرائق تدريسها*. (ط2). بيروت: دار النفائس للنشر والتوزيع.
- نهاد موسى، و آخرون. (2009). *علم الصرف*. القدس: جامعة القدس المفتوحة.
- هار ألد هارمان. (2006). *تاريخ اللغات ومستقبلها (عالم بابلي)*. (ترجمة: سامي شمعون). (مراجعة: محمد حريفزات). الدوحة: ألس الوطني للثقافة والفنون والتراث.
- يعقوب بكر. (1966). *العربية لغة عالمية*. القاهرة: نشر الأمانة العامة لجامعة الدول العربية.

المجلات:

حلمي عمار أبو الفتوح. (2018). اللغة العربية وتحديات العولمة. *المجلة التربوية لكلية التربية بجامعة سوهاج*. (المجلد 54). (العدد 54).

صادق جلال العظم. (1997). ما هي العولمة؟ بيروت: *مجلة الطريق*. العدد 4.

عبد الصبور شاهين. (د.ت). العولمة جريمة تذيب الأصالة. السعودية: *مجلة المعرفة الصادرة عن وزارة التعليم*، العدد 48.

علي أسعد وطفة ومحمد عبد الغفور. (2002). الثقافة العربية الإسلامية وفرصها. *مجلة إتحاد الجامعات العربية*. عدد 41.

هيثم بن جواد الحداد. (د.ت). العولمة اللغوية: البيان، ملف العولمة مقاومة وتفاعل. *مجلة مجمع اللغة العربية*. (المجلد 75)، (جزء 4). على الموقع: www.albayan.magazine.com/Filles/global.t/zm